الفريقين. حتى خُيّل إليّ أنّ الطبيعة اعتراها شيء من الخرف والذهول ساعة اختارتنا للبنان واختارت لنا لبنان. أو أنّها فعلت ذلك في حالة سأم وضجر، أو في طفرة من العبث والمجون. أو أنّنا في غفلة من الدهر، تسلّلنا إلى هذه الجبال وكان الدهر قد أعدّها لسوانا. وإلّا فمن أين هذا البون السحيق ما بيننا وبين لبنان؟

* * *

ألا عفوك يا لبنان!

لأنت أروع حلم حلمته الأرض، وأبدع قصيد نظمته السماء، وأعذب لحن وقعته الأرض والسماء معاً. ولأنت من الأرض قلبها، ومن قلبها حبّته، ومن عينها إنسانها، ومن جبينها غرّته. وشهادتي فيك لا يجرحها كون ترابي من ترابك، ولا كون خيوط عمري بعضاً من نسيج عمرك. فما هو التراب ينطق بلساني، ولا هي خيوط العمر تشدّ أوتار قلبي عندما أؤدّي شهادتي فيك. ولكنه شوق لافح إلى الجمال والطمأنينة والسلام ما برّدته في روحي بقعة من بقاع الأرض إلى حدّ ما فعلته أنت. ولقد عرفت من الأرض بقاعاً تضيق بها الذاكرة. فما أجملك يا لبنان، وما أحراك بسكّان كلّهم جَمال، وكلّهم طمأنينة، وكلّهم سلام!

★ ★ ★